كلية : الاداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: الاولى

أستاذ المادة : أ.م.د علاء مطر تايه

اسم المادة باللغة العربية: منهج البحث التاريخي

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Historical research method

اسم المحاضرة الحادي عشر باللغة العربية: اللغة من العلوم المساعدة لعلم التاريخ

اسم المحاضرة الحادي عشر باللغة الإنكليزية : Language is an auxiliary science to history

تمهيد :

على الرغم من اهمية المؤهلات الشخصية، والصفات التي يجب ان يتحلى بها المؤرخ التي اشرنا اليها سابقا، فان المقبل على دراسة التاريخ وكتابته يجب ان ينال اعدادا ثقافيا جيدا، ليستطيع ان يقوم بمهمته على خير وجه، ومهنة المؤرخ في هذا الامر تشبه معظم المهن الاخرى، حيث يستحيل ممارستها دون ان تكون لدى المرء المستلزمات الاساسية التي لا غنى عنها للتوصل الى النجاح في العمل، والتاريخ شأنه شأن العلوم والمعارف الاخرى لا يمكن ان يدرس مستقلا بذاته عن سائر العلوم أو المعارف، فمثلا لا يمكن لدارس علم التفسير ان يفهم القرآن الكريم ويبين معانيه، ويستخرج حكمه واحكامه دون ان يكون ملما بعلوم اللغة العربية، وعلم القراءات، واسباب النزول واحكام الناسخ والمنسوخ واصول الفقه والحديث النبوي الشريف وغيرها. وكذلك فان دارس التاريخ يحتاج الى انواع مختلفة من العلوم الانسانية، وذلك لان التاريخ يتناول جميع المجالات النشاط الانساني، وقد تطرق بعض علماء القرن التاسع عشر للميلاد، الفرنسيين من امثال (دونو) (ومابلي) هذا الموضوع فطالبوا المؤرخ بدراسة مجموعة كبيرة من العلوم والمعارف، التي تشمل القانون الطبيعي والقانون العام، والعلوم الاخلاقية والسياسية والادبية والتاريخية، كما ان بعضهم الآخر غالى في التطرف، فقرروا ان المؤرخ يجب ان يعرف كل شيء تقريبا، ولا سيما الفلسفة والقانون والمالية والاجناس والجغرافية وعلم الانسان والعلوم الطبيعية ...الخ. وبطبيعة الحال، فان من الصعب على المؤرخ ان يتخصص بهذه العلوم كلها. ولكن من الضروري ان يكون واسع الثقافة، عارفا بالعلوم المتصلة بدراسة التاريخ وكتابته، ملماً بالعلم الذي له صلة مباشرة بموضوع بحثه، وتختلف هذه العلوم بالنسبة الى دارس التاريخ من عصر الى اخر ومن مادة الى اخرى، فالعلوم المساعدة اللازمة لدراسة تاريخ اليونان واليونان تختلف عن العلوم المساعدة اللازمة

لدراسة التاريخ العربي الاسلامي، أو عصر النهضة الأوربية، أو تاريخ الولايات المتحدة الامريكية، كذلك لا فائدة ترجى من معرفة علم الخطوط القديمة لمن يقوم بأبحاث تتعلق بالدولة العربية في العصر الاموي او بدراسة الثورة الفرنسية مثلا، لذا، فإن العدة الأولية لكل من يريد ان يقوم بأبحاث اصيلة في التاريخ يجب ان تتألف من الثقافة العامة، وجميع المعارف الكفيلة بتزويده بوسائل الكشف عن الوثائق وتقدمها وفهمها، وتختلف هذه المعارف تبعا لتخصص المؤرخ في أي جانب من جوانب التاريخ، ويكون الاعداد عادة قصيرا نسبيا، وسهلا بالنسبة الى من يشتغل في التاريخ الحديث او المعاصر، ولكنه شاق وطويل بالنسبة الى من يشتغل في التاريخ القديم، او في تاريخ العصور الوسطى الاوربية أو الاسلامية.

اللغة :

وتأتي اللغات في مقدمة العلوم المساعدة التي ينبغي للباحث في التاريخ ان يتزود بها، ويتوجب على المؤرخ ان يلم باللغة الأصلية الخاصة بموضوع البحث التاريخي الذي ينوي الكتابة فيه، لان الترجمة لا تفي بحاجة المؤرخ للتوصل الى الفهم الكامل لما يريد الاطلاع عليه. فعلى سبيل المثال، ان من يرغب في دراسة تاريخ العصور الوسطى الاوربية، يجب ان يكون عارفا باللغة اللاتينية، كذلك الحال بالنسبة الى من يريد دراسة تاريخ الكنسية الكاثوليكية، لكن هذه اللغة (اللاتينية) ليست ضرورية لدراسة تاريخ الثورة الفرنسية، بل ان اللغة الاصلية المطلوبة هنا هي اللغة الفرنسية، كذلك لا بد لمن يود دراسة العلاقات بين قطرين، او مجموعتين في البلدان، ان يعرف لغة الاثنين، حتى يطلع على وجهات النظر المختلفة، فدراسة العلاقات المصرية ـ الانكليزية بعد الحرب العالمية الاولى، تتطلب معرفة اللغة العربية واللغة الانكليزية، ودراسة علاقات العرب في الاندلس بالممالك الاسبانية، تتطلب ايضا معرفة كل من العربية والاسبانية، وربما الفرنسية ايضا لوجود الكثير من

البحوث والدراسات التي كتبت عن هذا الموضوع باللغة الفرنسية، وهكذا فكلما تعددت اللغات التي يتقنها الباحث، اتسع امامه مجال الفهم والمعرفة والاستقصاء للموضوعات الخاصة ببحثه، وامكنه الاطلاع على مختلف المقالات والبحوث والكتب التي يمكن ان تضيف معلومات قيمة الى ما يتوصل اليه من نتائج .

ولا يكفي لمن يرغب في التخصص بموضوع معين في التاريخ ان يعرف اللغة الاصلية الخاصة بذلك الموضوع، بل عليه ايضا ان يكون ملما بفقه اللغة (الفيلولوجيا)الذي يعد ايضا من العلوم المساعدة الضرورية لدراسة التاريخ لان اللغة تتطور وتتغير معانيها، ومعاني مفرداتها من عصر الى اخر، فلا بد للمؤرخ اذا ان يتفهم النصوص التاريخية الخاصة بالعصر الذي يدرسه بدقة تامة، ولا يتأتى له ذلك الا اذا عرف هذه اللغة معرفة تامة، واطلع على ما نال الفاظها من تغييرات مختلفة، ويستطيع الباحث ان يعتمد على المعاجم اللغوية الموثوق بها في هذا المجال، ولا سيما تلك التي تذكر تاريخ استخدام المفردات اللغوية، وتغير معانيها من عصر الى اخر، مثل معجم (اكسفورد) بالنسبة الى اللغة الانكليزية، اما بالنسبة الى اللغة العربية، فلا يتوافر قاموس حديث لهذا الغرض، ولكننا نستطيع العثور على تطور معاني الكلمات، ومعرفة المراد منها بمراجعة قواميس اللغة العربية الشهيرة، مثل لسان العرب والمحيط لابن منظور ، وتاج العروس للزبيدي وغيرها .

علم قراءة الخطوط: واذا اراد دارس التاريخ القديم القيام بأبحاث اصيلة تعتمد الاصول الاولية في هذا الميدان، وجب عليه ان يدرس كيف يقرأ النقوش القديمة، وهذا ما يسمى بعلم قراءة الخطوط، وهو من العلوم المساعدة للتاريخ، ولا سيما في دراسة الحضارات القديمة الكبرى، مثل قراءة الخط المسماري الخاص بحضارة وادي الرافدين، والخط الهيروغليفي الخاص بحضارة وادي النيل، والخط المسند الخاص بكتابات الدول العربية الجنوبية في شبه الجزيرة العربية والخطوط اليونانية والرومانية القديمة، والخطوط الاوروبية في العصور الوسطى . فالذي يريد التخصص في تاريخ

العرب قبل الاسلام ،ودراسة احدى الدول العربية الجنوبية كالسبأية او الحميرية مثلا ، يجب عليه ان يتعلم الخط المسند، ولا يمكن ان يخطر ببال اي مؤرخ، ان يكتب تاريخا لأحدى تلك الدول دون معرفته لهذا الخط ، ان الخطأ الذي ينجم عن عدم اتقان قراءة الخطوط القديمة، يمكن ان يؤدي الى نتائج عكسية وتفسيرات لا تمت الى الواقع بصلة، الامر الذي ينجم عنه عدم الدقة في الجمع والنقد والتفسير.

ان هذه الخطوط التي اشرنا الى عدد منها لم تبق على شاكلة واحدة ، فقد اصابها التطور والتغيير بحسب العصور المختلفة التي مرت بها، كما ان الخط الواحد يمكن ان يختلف في الشكل من كاتب الى اخر، الامر الذي يتطلب من الباحث الدقة التامة في تمييز هذه الخطوط وتطورها، ليتمكن من الرجوع الى الوثائق التي دونت بها، وليكون على دراية تامة بالمقصود من الكتابات المدونة بهذه الخطوط.